

روح المعاني

وسئل ابن عطاء عن ذلك فقال : ما خاف عليه السلام على نفسه وإنما خاف على قومه أن يفوتهم حظهم من الله تعالى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى أي إنك المحفوظ بعيون الرعاية وحرس اللطف أو أنت الرفيع القدر الغالب عليهم غلبة تامة بحيث يكونون بسببها من اتباعك فلا يفوتهم حظهم من الله تعالى فألقى السحرة سجداً إلى آخر ما كان منهم فيه إشارة إلى أن الله تعالى يمن على من يشاء بالتوفيق والوصول إليه سبحانه في أقصر وقت فلا يستبعد حصول الكمال لمن تاب وسلك على يد كامل مكمل في مدة يسيرة وكثير من الجهلة ينكرون على السالكين التائبين إذا كانوا قريبين العهد بمقارفة الذنوب ومفارقة العيوب حصول الكمال لهم وفيضان الخير عليهم ويقولون كيف يحصل لهم ذلك وقد كانوا بالأمس كيت وكيت وقولهم : ان نؤثرك الخ كلام صادر من عظم الهمة الحاصل للنفس بقوة اليقين فإنه متى حصل ذلك للنفس لم تبال بالسعادة الدنيوية والشقاوة البدنية واللذات العاجلة الفانية والآلام الحسية في جنب السعادة الآخروية واللذة الباقية الروحانية ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي الخ فيه إشارة إلى استحباب مفارقة الأغيار وترك صحبة الأشرار ولا تطغوا فيه عد من الطغيان فيه استعماله مع الغفلة عن الله تعالى وعدم نية التقوى به على تقواه D وما أعجلك عن قومك يا موسى الإشارة فيه أنه ينبغي للرئيس رعاية الأصلاح في حق المرؤس وللشخ عدم فعل ما يخشى منه سوء ظن المرید لا سيما إذا لم يكن له رسوخ أصلاً قال فانا قد فتننا قومك من بعدك . قال ابن عطاء : إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام بعد أن أخبره بذلك : أتدري من أين أتيت قال : لا يا رب قال سبحانه : من قولك لهرون : اخلفني في قومي وعدم تفويض الأمر الي والأعتماد في الخلافة علي .

وذكر بعضهم أن سر أخبار الله تعالى إياه بما ذكر مياسطه عليه السلام وشغله بصحبته عن صحبة الأصدقاء وهو كما ترى واضلهم السامري صار سبب ضلالهم بما صنع قال بعض أهل التأويل : إنما ابتلاهم الله تعالى بما ابتلاهم ليطمئن منهم المستعد القابل للكمال بالتجريد من القاصر الأستعداد المنغمس في المواد الذي لا يدرك إلا المحسوس ولا يتنبه للمجرد المعقول ولهذا قالوا : ما اخلفنا موعداً بملكنا أي برأينا فانهم عبيد بالطبع لا رأى لهم ولا ملكة وليسوا مختارين لا طريق لهم إلا التقليد والعمل لا التحقيق والعلم وإنما استعبدتهم السامري بالطلسم المفرغ من الحلي لرسوخ محبة الذهب في نفوسهم لأنها سفلية منجذبة إلى الطبيعة الجسمانية وتزين الطبيعة الذهبية وتحلى تلك الصورة النوعية فيها للتناسب الطبيعي وكان ذلك من باب مزج القوى السماوية التي هي اثر النفس الحيوانية الكلية السماوية المشار

اليها بحيزوم وفرس الحياة وهي مركب جبريل عليه السلام المشار به إلى العقل الفعال بالقوى الارضية ولذلك قال : بصرت بما لم يبصروا به أي من العلم الطبيعي والرياضي اللذين يبنى عليهما علم الطلسمات والسيمياء قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لامساس قال ذلك عليه السلام غضبا على السامري وطردا له وكل من غضب عليه الأنبياء وكذا الأولياء لكونهم مظاهر صفات الحق تعالى وقع في قهره D وشقى في الدنيا والآخرة وكانت صورة عذاب هذا الطريد في التحرز عن المماساة نتيجة بعده عن الحق في الدعوة إلى الباطل واثر لعن موسى عليه السلام إياه عند إبطال كيده وإزالة مكره ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال أهل الوحدة : أي يسألونك عن موجودات الأشياء فقل ينسفها ربي بريح النفحات الالهية الناشئة من معدن الاحدية فيذرها في القيامة الكبرى قاعا صفصفا وجودا احديا لا ترى فيها عوجا ولا امنا اثينية ولا غيرهه يومئذ يتبعون الداعي